جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ والآثار

محاضرات في مادة

تاريخ الجزائر الحديث (القرن 16 – القرن 19)

للسنة الثانية تاريخ عام (ل.م.د)

السداسي الرابع

وفق برنامج وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

إعداد

الأستاذ الدكتور الشافعي درويش

السنة الجامعية: 1443 هـ – 1444 هـ / 2022 م – 2023 م

مقدمة :

يعتبر تاريخ الجزائر الحديث من المراحل الهامة من تاريخ الجزائر ،والذي بدأ منذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية في سنة 1519 ،وتغير مسارها ودورها وتحولها إلى قوة في الحوض الغربي من البحر المتوسط ،فقد لعبت الجزائر دورا إقليميا ودوليا من تلك الفترة ،كما استطاعت تحرير موانئها من الاحتلال المسيحي الأجنبي الإسباني .وقد شهدت تطورات كثيرة خلال تلك المرحلة .وقد مرت بأربعة مراحل في تطورها في هذه الفترة ،كما كان لها علاقات متنوعة وعديدة مع دول حوض البحر المتوسط بضفتيه الجنوبية والشمالية ،وتعدتها إلى المحيط الأطلسي .

وبذلك يمكن القول أن هه الفترة كانت هامة وضرورية ساهمت في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة ،التي كانت قوة بحرية يحسب لها حسابها من طرف الدول المسيحية ،قبل أن تدهور مع نهاية القرن 18م ،لتسقط الإيالة بعد الحملة الفرنسية في سنة 1830م .

المحاضرة الأولى : 1- الوضع السياسي العام للدول المغاربية :

الإشكالية :كيف كان الوضع السياسي العام لدول المغرب ؟وكيف كانت حالة دوله ؟

قبل أن نتكلم عن الغزو الإيبيري لبلدان المغرب الإسلامي ،خلال القرن السادس عشر الميلادي ، يجب أولا أن نتعرف عن الوضع السياسي لبلدان المغرب الإسلامي مع مطلع القرن السادس عشر ؛ وبذلك نستطيع فهم الظروف والعوامل ،التي سهلت على الدول الإيبيرية غزو منطقة المغرب الإسلامي ،خلال هذه الفترة .وبعد ذلك نتطرق إلى مراحل الغزو الإبيري للمنطقة .

1- الوضع السياسي العام للدول المغاربية :

كانت منطقة المغرب الإسلامي مع مطلع القرن 16م ،تعيش حالة من التفكك الداخلي ، والتجزؤ ، فظهرت ثلاث إمارات مستقلة في منطقة المغرب الإسلامي تنافست فيما بينها مما أدى إلى ضعفها .هذه الإمارات هي :إمارة بني عبد الواد الزيانيين وعاصمتها مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط ،وإمارة بنو حفص بالمغرب الأدنى بتونس ،وإمارة بني مرين بالمغرب الأقصى ،وتميزت علاقات هذه الإمارات بالتطاحن ، والنزاعات المستمرة .

كما أن الصراع على السلطة ،والاقتتال بين أبناء الأسرة الواحدة ،قد أدى إلى إنهاك تلك الإمارات اقتصاديا ،وعسكريا ،بل و أضعف السلطة المركزية لكل منها .وصارت أقطار المغرب فسيفساء سياسية لاسيما المغرب الأوسط مع مطلع القرن 16م .ويمكن أن نميز تلك الحالة كالتالي:

2- الدولة الحفصية في تونس :

دخلت البلاد التونسية مرحلة أزمة شديدة في أواخر القرن 15م ، ومطلع القرن 10هـ/16م . وهناك عوامل جديدة ظهرت أخلّت بما عرفته الدولة الحفصية ، من توازن دام قرونا عديدة ، ويبدو أن تلك التغيرات قد فرضها الوضع الدولي ؛ وهو أمر يتجاوز إطار البلاد التونسية وحدها .
، وبذلك انحلت هذه الدولة ، وفقدت القدرة على ردع القوى الانفصالية ، فقد استعاد سكان البلاد وخاصة القبائل استقلالهم ، وحريتهم عن سلطتها حتى إن نفوذ الحفصيين لم يكن يتعد مدينة تونس نفسها ، في مطلع القرن 16/10م .أما المناطق البعيدة كبسكرة ، قسنطينة ،وغيرها فخرجت عن نفوذه ، واستقلت عنه ،وصارت الموانئ التونسية تحت نفوذ القبائل العربية ،والطرق الصوفية كالشابية ،التي اتخذت من مدينة القيروان عاصمة لمملكتها.

أما طرابلس الغرب :

استقلت طرابلس في مطلع القرن 10هـ/16م عن الحفصيين بسبب ضعف الدولة الحفصية ، وصارت تلقي الخطبة باسم السلطان المريني بفاس ، أما سيرت فكان يحكمها مجلس منتخب من الأعيان يرأسه أحد الشيوخ . وفي سنة 1510م/915هـ تمكن الإسبان من احتلال مدينة طرابلس ،بقيادة الكونت بيدرو نافارو ،الذي ترك بها حامية قدرت بثلاثة آلاف جندي ، وظلت بيد الإسبان إلى أن منحها شارلكان إلى فرسان القديس يوحنا في سنة 1530م .

2- الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط :

أما في النصف الغربي من المغرب الأوسط فقد أدت الخلافات على العرش في تلمسان إلى تقلص نفوذ الملوك الزيانيين فيها ، وتجزأت سلطنتهم إلى جمهوريات مدن صغيرة في وهران ، والجزائر ، وغيرها ، وإلى إمارات هنا ، وهناك في تنس ، الحضنة ، والزاب ،وتقرت .قبل أن تتعرض معظم المدن الساحلية إلى الاحتلال الإسباني .وقد أدى التفكك ، والتجزؤ ، والغزو الإسباني إلى تدهور أوضاع منطقة المغرب الأوسط ، مما دفع السكان في بجاية ، وجيجل ، والجزائر ،وحتى في تلمسان إلى الاستنجاد بالعثمانيين عند ظهور الإخوة بربروس بسواحل المغرب الإسلامي.

3- الدولة المرينية بالمغرب الأقصى :

لم يكن المغرب الأقصى أحسن حالا ،فقد كان يعاني من التجزؤ ،والضعف ،والتفكك ، مما جعل البلاد عرضة للحملات البرتغالية ،والإسبانية ،التي أصابت أهم المدن ، والمواقع الساحلية .وأمام عجز المرينيين ،ثم الوطاسيين في مواجهة الغزو الخارجي ،برز السعديون على المسرح السياسي في سنة 1509م انطلاقا من الجنوب ،وأخذوا شيئا فشيئا في التحكم في زمام الأمور .

إذن فهذه هي حالة البلدان المغاربية مع مطلع القرن السادس عشر ،وهي وضعية متشابهة بين كل أقطار المغرب ،تتشابه في التجزؤ والضعف كلها ،وهو ما جعله ا تواجه المصير نفسه ،أي أنها أضحت عرضة للغزو الإيبيري .

المحاضرة الثانية : الاحتلال الإيبيري للدول المغاربية :

الإشكالية: لماذا ا تحولت كل من إسبانيا والبرتغال إلى قوى استعمارية ؟ولماذا توجهت إلى بلدان المغرب الإسلامي ؟وماهي أهم المناطق التي احتلتها في المغرب؟

نقصد بالدول الإيبيرية دول شبه الجزيرة الإيبيرية ؛وهي دولتان إسبانيا والبرتغال ،هذه الدول التي أصبحت قوى بحرية منذ القرن الخامس عشر ،وبالتالي تحولت إلى قوى استعمارية توسعية ،كان أقرب أهدافها هي الدول المغاربية نظرا للقرب الجغرافي ،وللعلاقات التاريخية بين الطرفين .هذه القوى الإيبيرية على الرغم من اختلافها في القوة والأهداف ،إلا أنها اتفقت منذ نهاية القرن الخامس عشر على تحديد أهدافها حتى لا تتصادم مصالحها .

أ- الاحتلال البرتغالي :

استكمل البرتغاليون وحدتهم الوطنية قبل الإسبان سنة 1413م ؛ فتفرغوا لغزو المغرب باحتلال مدينة سبتة في سنة 1415م ، ثم محاولتهم احتلال مدينة طنجة في سنة 1437م ،التي كانت فاشلة ، تلتها احتلالهم لبلدة القصر الصغير في سنة 1458م .وفي سنة 1469م قاموا بتخريب مدينة آنفي (الدار البيضاء) ، ثم قاموا بعد ذلك باحتلال مدينتي أصيلا ،وطنجة في سنة 1471م .

كما كان البرتغاليون أول القوى الأوربية ، التي عرفت طريق الهند منذ سنة 1498م ؛ عندما أوصلهم إليها البحار العربي المسلم أحمد بن ماجد في أعقاب وصول كريستوفر كولمبس إلى أفريقيا في سنة 1492م . وتمكن البرتغاليون بعد توقيع إتفاقية توردیسیلاس مع الإسبان ، من احتلال مدينة ماسا في سنة 1497م ، ثم موقع مازكان في سنة 1502م ، فأغادير في سنة 1505م ، وموركادور في سنة 1506م ، وآسفي في سنة 1508م ، وآزمور في سنة 1513م ، وتطلعوا في سنة 1515م إلى احتلال مدينة مراكش ، ولكن حملتهم باءت بالفشل .وبذلك مضت البرتغال بدورها في تحقيق مشروعها التوسعي باتجاه بلدان الضفة الجنوبية ، بعدما تم تحديد مناطق النفوذ مع إسبانيا .

ب- الاحتلال الإسباني :

عرفت شبه الجزيرة الإيبيرية تطورات هامة ،في نهاية القرن 15م ،كان لها تأثير على مستقبل إسبانيا ، وعلى أوربا ، وعلى منطقة الحوض الغربي للمتوسط بشكل عام . ومن هذه التطورات زواج فرديناند (1467 م-1516م) ملك أ راغون بإيزابيلا (1474م-1504م) ملكة قشتالة سنة 1469م ، وتم توحيد المملكتين ، وظهور مملكة إسبانيا الكاثوليكية الموحدة .

وقد اتخذت هذه الوحدة السياسية ، التي عرفتها الجزيرة الإيبيرية صبغة دينية ؛ اعتمدت على التحالف بين الكنيسة الكاثوليكية ، والملوك الكاثوليك ، والتي نتج عنها ما عرف بحرب الاسترداد Reconquesta التي وجهتها إسبانيا ضد مسلمي الأندلس ، و سكان المغرب الإسلامي .

فتم استسلام غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس للملكين الكاثوليكيين في سنة 1492م. وبسقوطها أصبحت إسبانيا على مقربة من بلدان المغرب ، حيث عملت على ملاحقة مسلمي الأندلس ،الذين لجأوا إلى تلك البلدان ،ثم بدأت في تنفيذ مشروعها التوسعي ،بهدف احتلال المناطق الساحلية الاستراتيجية لبلدان المغرب .

وقد أرسلت الملكة إيزابيلا عدة بعثات تجسسية باتجاه الضفة الجنوبية لمعرفة أوضاعها ، كان أهمها ، التي أرسلت إلى مملكة تلمسان و على رأسها لورينزو دي باديا Lorenzo de Badia في سنة 1493م ،. كما وظف الكاردينال اخسيمنيس أحد التجار الإيطاليين واسمه ، جيروميني فيانيللي Geromino Vianelli. وفي سنة 1494م أرسل فرديناند جاسوسا آخر وهو فيرناندو دي زافيرا Fernando de Zafira إلى مملكتي فاس، وتلمسان. وقد كان هؤلاء الجواسيس يتنكرون في زي التجار، بهد الحصول على المعلومات ، التي يحتاجها الإسبان في غزو بلدان المغرب الإسلامي .

وفي مطلع القرن 16م احتلت إسبانيا موانئ هامة على سواحل المغرب الإسلامي ، كالمرسى الكبير في سنة 1505م ،ووهران في سنة 1509م ،وبجاية في سنة 1510م و حجر باديس في سنة 1508م .ثم طرابلس في سنة 1510م .

ونظرا لاشتداد الغزو الإيبيري على البلدان المغاربية ،كان على هذه البلدان أن تحدد مصيرها ،إما أن تقبل بالاحتلال الإيبيري لسواحلها ،وإما أن تدافع عن نفسها ،أو تجد لها من يحميها من هذا الاحتلال المسيحي الإيبيري .وهذه الحالة تنطبق على الجزائر ،التي اختار سكانها الاستنجاد بالدولة العثمانية لمواجهة الغزو الإسباني ،وبذلك دخل المغرب الأوسط مرحلة جديدة من تاريخه ،وانتقل من العصور الوسطى إلى العصر الحديث .وبذلك ستعرف الجزائر تطورات سياسية وعسكرية وحتى اجتماعية وثقافية جديدة مغايرة للمراحل السابقة ،خلال العهد العثماني ،وهذا ما سنتعرف عليه في المحاضرة اللاحقة .

المحاضرة الثالثة : التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني:

الإشكالية :لماذا ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية ؟وكيف تمّ ذلك ؟

1- ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية :

لقد ظهر الإخوة بربروس ،الذين سيلعبون دورا هاما في توجيه العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي ، وإسبانيا في الحوض الغربي للبحر المتوسط .يعود أول تعاون بين الجزائريين ، والعثمانيين ضد الإسبان إلى المحاولة الأولى لتحرير بجاية ، التي قادها عروج في سنة 1512م ، لكنه فشل في تحريرها بسبب التحصينات الإسبانية ، فانسحب إلى تونس بعد أن بترت ذراعه ثم انتقل من تونس إلى جيجل، التي حررها من يد الجنويين ،واتخذها قاعدة لنشاطه البحري ،الذي كثفه على الموانئ الإسبانية .وأعاد عروج حصار بجاية في سنة 1514م ؛لكنه فشل بسبب نقص ذخيرته ،ورفض السلطان الحفصي تزويده بالإمدادات خوفا من زيادة مكانة الإخوة بربروس في بلاد المغرب .

وتعود المحاولات الأولى لتحرير المدن الساحلية الجزائرية إلى سنة 1516م ، لما توفي الملك فرديناند الكاثوليكي ،فاستغل سكان مدينة الجزائر بقيادة سالم التومي هذه الفرصة ؛للتخلص من الوضعية الصعبة ،التي فرضها عليهم الإسبان منذ سنة 1510م ؛عند احتلالهم لصخرة البينيون ،التي وضعوا فيها حامية كانت تقيّد المدينة ،وتتحكم فيها .فكتبوا إلى عروج في جيجل يستنجدون به، فقبل عروج الدعوة من أجل نصرة الجزائريين ،وجهز قوته ، واتجه إلى مدينة شرشال حيث قضى على تمرد لأحد أتباعه المدعو حسن قارة ،و ترك بها حامية عسكرية ،ثم عاد إلى مدينة الجزائر فاستقبله سكانها .

قام عروج بقصف قلعة البينيون بالمدفعية لمدة عشرون يوما ، لكنه لم يتمكن من تحطيمها ، لذلك أجّل أمر تحريرها لوقت لاحق . تخوفت إسبانيا من تمركز الإخوة بربروس بالجزائر ،لذلك جهزت حملة عسكرية في سبتمبر 1516م ؛ قوامها 320 سفينة ، 15000 جندي بقيادة دييغو دي فيرا Digo de Vèra ، لكن الحملة الإسبانية فشلت بسبب الظروف الطبيعية ، فكان ذلك انتصارا كبيرا للإخوة بربروس ، ولسكان مدينة الجزائر ، من أجل ذلك سارعت المدن المحيطة بمدينة الجزائر ، وبلاد القبائل إلى الاعتراف بسيادة عروج .

استولى عروج على مدينة تنس ، وقتل أميرها الزياني المتعاون مع الإسبان ، كما استنجد سكان تلمسان بعروج ضد ملكهم أبو حمو الثالث الزياني المتعاون مع الإسبان، فاتجه إليها ؛ وفي طريقه وضع حامية عسكرية تركية بقلعة بني راشد ، تحت قيادة أخيه إسحاق ليحمي مؤخرته . فتمكن عروج من دخول تلمسان والإطاحة بأبي حمو الثالث ، الذي فر إلى مدينة وهران ، للاستنجاد بالإسبان.

توجه أبو حمو الثالث على رأس قوة من الإسبان والأعراب إلى قلعة بني راشد ، فقتلوا الحامية التركية التي كان على رأسها إسحاق في 1518م ،ثم وصلوا إلى تلمسان ،وضربوا عليها حصارا ؛ تمكن عروج وجنوده من الصمود ستة أشهر ،ثم اضطر إلى الخروج باتجاه المغرب ،تفطن الإسبان لخروجه فلحقوا به ،واستشهد في ماي سنة 1518م بعد مقاومة باسلة وعمره أربعة وأربعين عاما .

بعد استشهاد عروج وجد أخوه خير الدين ؛ الذي كان قد خلفه في مدينة الجزائر نفسه في وضعية صعبة ؛ فقد هددته الأخطار من كل جانب ، خطر الإسبان ، وأطماع الحفصيين من الشرق ،وتمرد مدن شرشال ، وتنس ، وبلاد القبائل بقيادة أحمد بن القاضي ، إضافة إلى نقص المؤونة ، والجند . في هذه الظروف الصعبة عزم خير الدين على مغادرة الجزائر ، لكن أعيان المدينة رفضوا ذلك ،وطلبوا منه البقاء ،لذلك تراجع عن قراره وبدأ يعمل على تدعيم أسس الدولة الجزائرية ، التي جعل من مدينة الجزائر عاصمة لها ، والتي ستتولى مواجهة الحملات الإسبانية ، وحماية المنطقة المغربية .وبفضل عبقرية خير الدين ، الذي رأى أنه بحاجة إلى قوة حليفة تقف إلى جانبه لمواجهة الخطر المسيحي الإسباني ، ومشروعه الاستعماري ؛ فرأى أن القوة الوحيدة القادرة على حماية البلاد ؛ هي الدولة العثمانية الإسلامية ، فعرض ذلك على أعيان مدينة الجزائر ، الذين رضوا ، ووجهوا رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول ؛ يطلبون فيها التبعية للدولة العثمانية في سنة 1519م .

وافق السلطان على دخول الجزائر إلى أقاليمه ، ومنح خير الدين لقب بيلرباي ، وأرسل إلى الجزائر أسطولا بحريا ، وقوة من الإنكشارية ، وكمية من الأسلحة . وبذلك أصبحت الجزائر مرتبطة بالدولة العثمانية ،ومتحالفة معها ضد إسبانيا والعالم المسيحي ؛وهذا ما وصفه المؤرخون الأوربيون بأنه بادرة غيرت مجرى التاريخ الإفريقي .

المحاضرة الرابعة : التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت سياسة الحكم العثماني في الجزائر ؟وماهي مميزاتها ؟

2- سياسة الحكم العثماني في الجزائر :

لم يكن للعثمانيين خطة عامة واحدة لإدارة حكم البلاد ،التي خضعت لهم أو دخلت في طاعتهم ،بل تأثرت سياستهم الإدارية بصورة عامة بالأوضاع الداخلية ،التي كانت قائمة في كل بلد قبل دخوله ،وبالظروف التي تم فيها الفتح .وكان التنظيم الإداري العثماني يرتكز في البلاد المفتوحة على قبولها ؛وجود ممثل السلطان أو نائبه (الباشا) ،وحامية تركية تكون محدودة العدد في الأحوال العادية ،ودفع الضرائب .وفيما عدا ذلك تبقى السلطة العثمانية بعيدة عن الحياة العامة للبلاد المحكومة ؛فلم يكن للدولة العثمانية سياسة عامة مرسومة في الاقتصاد والتعليم الخ .

فمنذ أن ربط خير الدين مصير الجزائر بالدولة العثمانية في سنة 1519م ،ادرك السلطان سليم الأول أهمية موقع مدينة الجزائر في البحر المتوسط ،واطلق عليه لقب الباشا (الباي) ،أرسل له قوة انكشارية تتكون من 2000 جندي مجهزين بالمدفعية ،إلى جانب 4000 من المتطوعين ،ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجزائر إيالة عثمانية ،وقاعدة عسكرية تابعة للباب العالي في الحوض الغربي للبحر المتوسط .ارتبط نظامها السياسي فعليا بالسياسة العثمانية ،وسلطة الباب العالي ،وقد عرف نظام الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني تطورات سياسية وعسكرية ،وإدارية متنوعة ؛كانت لها انعكاساتها الواضحة على الجزائر خلال هذه الفترة .

وتتفق بعض الكتابات إلى أن العثمانيين لم يحسنوا سياسة الحكم في الجزائر ،بالرغم من الدور العسكري الذي لعبوه خلال فترة حكمهم ؛والمتمثل في حماية الجزائر من الاحتلال المسيحي الأوربي .ذلك أن العثمانيين خلال فترة حكمهم للجزائر ،بدلا من أن يندمجوا في أوساط الشعب دون مركب ،ويتعاونوا مع الأهالي على تنظيم البلاد ؛تنظيما متينا يجعل منها حصنا منيعا صعب المنال انعزلوا عن مساعداتها في مجالات التسيير حتى لا يفقدوا سلطانهم الأمر ،الذي أدى إلى حدوث كثير من الثورات والتمردات ،ولقد سلك العثمانيون أيضا سياسة التفرقة بين القبائل ؛للقضاء على كل معارضة وعاملوا القبائل بحسب القيمة الحربية لكل واحدة ،بحسب مركزها الاجتماعي .

في حين تفطن العثمانيون للدور الكبير الذي يلعبه رجال الدين ،وكذا المؤسسات الدينية والزوايا والطرق الصوفية ،فعاملوهم معاملة خاصة ،ليس كسائر الأهالي ،فكانوا يستشيرونهم في كثير من

الأمور ،ويسهمونهم في المعارك والمفاوضات ،كما كانوا يخصصون لهم جزءا مما يدره عليهم الجهاد البحري ،ويحبسون الأحباس للمساجد والزوايا .

وقد مر نظام الحكم في الجزائر بأربعة مراحل ،اختلفت عن بعضها البعض ،وشهدت خلالها الجزائر أحداث وتطورات متنوعة ،كانت بداية تلك الفترة في سنة 1519م بعهد خير الدين بربروس ،ونهايتها في سنة 1830م مع نهاية عهد حسين داي .

المحاضرة الخامسة : التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :ماهي مراحل الحكم العثماني في الجزائر ؟وماهي خصائص كل مرحلة ؟

3- مراحل الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني :

أ- عهد البيلربايات (1519-1587) :

بدأت هذه المرحلة باعتلاء خير الدين ،الذي تم في عهده ربط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية ،وتعيينه بيلرباي عليها في سنة 1519م .البيلربايات أو البكلربكوات تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل العهد العثماني في الجزائر ،وتعني الكلمة أمير الأمراء ،وهو من المناصب الرفيعة في الدولة العثمانية .ومنح السلطان سليم الأول هذا اللقب لخير الدين ؛دلالة على امتيازه ولأهمية ولايته التي يحكمها كنائب للسلطان ،فقد اعتبرت الجزائر قاعدة للحكم العثماني ،وللنشاط العثماني في شمال أفريقية ،وفي الحوض الغربي للمتوسط ،وأشرفت على إخضاع باقي الولايات في شمال إفريقية ،وظلت مسؤولة عن تسيير شؤونهم حتى نهاية عصر البيلربايات .

وقد تناوب على حكم الجزائر خلال عهد البيلربايات سبعة أتراك وسبعة من الأعلاج (المهتدين أو المرتدين عن المسيحية إلى الإسلام ،واثنين من الكراغلة وعربيين من خارج بلاد المغارب .ومن أبرز الحكام خلال هذا العهد :خير الدين بربروس (1519م – 1533م) ،وحسن أغا (1533م – 1544م) من سردينيا ،وحسن باشا بن خير الدين (1544م – 1552م) وهو كرغلي ،وصالح رايس (1552م – 1556م) وهو من الأتراك ،وحسن قورصو (1556م – 1557م) ،وعلج علي (1568م – 1571م) ،وحسن فنزيانو (1583م – 1587م) ؛وهؤلاء الثلاثة كلهم من الأعلاج ،الذين وصلوا إلى أعلى المراتب بعد إسلامهم .

يعتبر خير الدين بربروس من أهم البيلربايات ،نظرا للدور الذي قام به من أجل تثبيت أسس الحكم العثماني في الجزائر ،وفي بلاد المغرب الإسلامي كله .فقد قام خير الدين بأعمال جليلة ؛حيث تمكن من فتح مدينة القل في سنة 1521م ،ومدينة عنابة وقسنطينة في سنة 1522م ،كما تمكن من طرد الإسبان من صخرة البينيون في سنة 1529م ،وبذلك أنهى تهديداتهم لمدينة الجزائر ،التي ظلت لمدة تقارب العشرين سنة ،وحولها إلى ميناء ترسو به السفن الجزائرية ،وبذلك أصبح لمدينة الجزائر ميناء ،تحتمي به سفن الأسطول البحري ،وأصبح لها دور كبير في حوض المتوسط .

كما تمكن خير الدين من إفشال الحملة الإسبانية على مدينة شرشال في سنة 1530م ،بقيادة الجنوي أندري دوريا .كما قام خير الدين بعدة حملات على السواحل الإسبانية ،انقذ خلالها حوالي

سبعين الف لاجئ مسلم ،استقروا في مدينة الجزائر ،استغل خبرتهم في محاربة القراصنة الإسبان .ونظرا للدور الذي لعبه خير الدين في محاربة الإسبان ،وإنقاذ مسلمي الأندلس فقد استدعاه السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة 1533م .

وقد عين خير الدين خلفا له أحد تلاميذه ،وهو حسن أغا الطوشي في سنة 1533م ،وقد كان حسن أغا رجلا عاقلا وصالحا ،وعالما فذا وقائدا باسلا ،محنكا وشجاعا .وقد حكم حسن باشا بن خير الدين ثلاث ولايات (1544م – 1552م) ،(1557م – 1561م)، (1562م – 1567م) ،ويعود له الفضل في وضع أسس تنظيم إداري للجزائر ،والذي سيستمر حتى نهاية العهد العثماني ،فقد قسم الجزائر إلى أربعة بايليكات أو مقاطعات أو عمالات ،وجعل على رأس كل بايلك حاكم أو باي ،وجعل له عاصمة وهي:

- دار السلطان وهو يمتد بين دلس شرقا وتنس غربا ،وبين البحر شمالا وبايلك التيطري جنوبا به مقر الحكم العثماني للإيالة ،عاصمته مدينة الجزائر .
- بايلك الشرق أول البايلكات المستحدثة عاصمته قسنطينة يعود إلى حوالي سنة 1543م .
- بايلك التيطري جنوب دار السلطان عاصمته مدينة المدية يعود إلى سنة 1548م .
- بايلك الغرب عاصمته مدينة مازونة ،ثم معسكر ،وأخيرا مدينة وهران بعد تحريرها من الإسبان ،يعود استحداثه إلى حوالي سنة 1563م .

وكان كل بايلك يشمل على عدد من الأوطان ،وكل وطن على عدة قرى وقبائل ،وكان حكم الوطن يسند عادة إلى تركي أو كرغولي ،وحكم القرى والقبائل لشيخ من أهلها ،والقبائل حسب علاقتها بالسلطة العثمانية نوعان :قبائل مخزنية متعاونة مع السلطة معفية من أداء الضرائب ،وقبائل الرعية تدفع الضرائب للسلطة .

وفي عهد صالح رايس (1552م – 1556م) وهو عربي الأصل من الإسكندرية ،تمكن من مد نفوذه إلى منطقتي تقرت وورقلة في الجنوب الجزائري ،وأخضع أمراء بني جلاب للسلطة العثمانية في الجزائر .كما تمكن من تحرير مدينة بجاية من الاحتلال الإسباني في سنة 1555م .وقد خلفه حسن بن خير الدين في ولايتيه الثانية والثالثة .وبعهده تم تعيين محمد بن صالح رايس بيلربايا على الجزائر(1567م – 1568م) ،وقد تركزت جهوده على بعض الإنجازات الداخلية كتعزيز القدرة الدفاعية البحرية للجزائر وتثبيت الأمن الداخلي للإيالة .وقد خلفه العلج علي (1568م – 1587م) ،الذي يعتبر من أهم بيلربايات الجزائر ،تميزت ولايته بعدة إنجازات وأحداث ،برز خلاله دور الجزائر في

حوض للبحر المتوسط ،كحملته على تونس في سنة 1569م ،ومساعدته لثورة الأندلسيين في إسبانيا في سنة 1569م ،ومشاركة الجزائر في معركة ليبانت في سنة 1571م ،وتحرير تونس وضمها للخلافة العثمانية في سنة 1574م .

وبوفاة علج علي في سنة 1587م ألغت الدولة العثمانية نظام البيلربايات في الجزائر ،ذلك أن الجزائر لم تعد الحصن الأمامي للدولة العثمانية ،بل صارت ولاية عثمانية مثل غيرها .ويفسر هذا التغيير بتخوف السلطان العثماني من أن يتجه البيلربايات بسبب قوتهم البحرية نحو الاستقلال ،ذلك أن حكم البيلرباي لم يكن له حد زمني من جهة ،ومن جهة أخرى كانت تونس وطرابلس تابعة لحكم الجزائر .

وبذلك انتهت مرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر ،تميزت بسيطرة فئة الأعلاج ورياس البحر على نظام الحكم حتى نهاية الربع الأخير من القرن السادس عشر ،لعبت خلاله الجزائر دورا كبيرا كقوة بحرية في الصراع الإسلامي – المسيحي في حوض البحر المتوسط ،كما كان لها كذلك الدور الهام في ضم باقي بلدان المغرب الإسلامي إلى الدولة العثمانية .

المحاضرة السادسة : التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :فيما تمثلت خصائص ومميزات مرحلتي الباشوات والأغوات ؟

ب- عهد الباشوات (1587-1659) :

بعد وفاة علج علي آخر بيلربايات الجزائر ،قرر السلطان العثماني مراد الثالث إدماج الإيالات الإفريقية (الجزائر ،تونس ،طرابلس) ،في الإمبراطورية العثمانية ؛ليحد بذلك من استقلالها ،ويتمكن من مراقبتها .وبذلك تم وضع نظام الباشوات بدل البيلربايات ؛حيث يعين باشا لمدة ثلاث سنوات ،كان أولهم دالي احمد باشا ،وأخرهم إبراهيم باشا .وقد كان الباشاوات يديرون شؤون البلاد بمعاونة الديوان المؤلف من رؤساء الجند ،ولكي يبقى الباشا في منصبه كان عليه أن يساير الديوان ويقر قراراته .ونتيجة لذلك فقد شهد عهد الباشاوات عدة مظاهر للفوضى والاضطراب في الجزائر :

- ثورات الكراغلة سنوات 1596م ،و1633م .
- ثورات في بلاد القبائل .
- الصراع المستمر بين الجند الانكشارية وطائفة رياس البحر.

لقد كان الباشا يعين لمدة ثلاث سنوات ،ومن النادر أن يكمل مدته ،وقد تعاقب على حكم الجزائر ثلاثة وأربعون باشا ،تجدد تعيين بعضهم أكثر من مرة ،وتعرض الكثير منهم للعزل على يد الأوجاق ،لقد كان الباشوات يشترون مناصبهم بالمال ،وكان همهم الوحيد هو جمع الثروة ،لذلك تميز عهدهم بالاضطراب وعدم الاستقرار ،والصراع مع الجند ،وحقد الأهالي عليهم .

ونتيجة لذلك اتسعت الهوة بين الباشوات والمجتمع الجزائري ،وأدى ذلك إلى سقوط نظامهم في سنة 1659م ،حدث تمرد ضد إبراهيم باشا آخر الباشوات قاده رجال الانكشارية ،الذين ألقوا عليه القبض ،ووضعوه في السجن وأعلن البوكباشي خليل نهاية حكم الباشوات ،وعين أول أغا على رأس الحكم في الجزائر ،وبذلك استولت طبقة الانكشارية على الحكم وبدأ عهد الأغوات[4].وبذلك ستبدأ مرحلة أخرى من مراحل الحكم العثماني تسمى عهد الأغوات .

ج- عهد الأغوات (1659-1671) :

يعتبر عهد الأغوات من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر ،وقد تميزت هذه المرحلة بعدم الاستقرار السياسي في السلطة ،نظرا للاضطرابات والاغتيالات ،التي تعرض لها حكام الإيالة الجزائرية

---

[4] سفيان صغيري : المرجع السابق ،ص ص 33-34 .

في هذه الفترة .وما يؤكد عدم استقرار هذه المرحلة هو تعاقب أربعة أغاوات فقط وهم :خليل أغا ،ورمضان أغا ،وشعبان أغا ،وأخيرا علي أغا .وكلهم قتلوا في هذه الفترة الوجيزة ،مما جعل الناس يمتنعون عن ترشيح أنفسهم ،ومال الأهالي إلى تأييد طائفة الرياس ،الذين فرضوا واحدا منهم بوصفه دايا في سنة 1671م .

انقلب جنود الانكشارية على طبقة رياس البحر ،وقبضوا على السلطة ،التي اسندوها إلى الأغا ،في حين اسندوا السلطة التشريعية لمجلس الديوان ،وقد كان عهد الأغوات يحمل منذ البداية في طياته بوادر الانحلال ،لأنه وضع الاغتيالات لتغيير الأغا القديم وتنصيب أغا جديد ،وقد فشل الأغوات في فرض سلطتهم ،كما تميزت هذه المرحلة بالثورات الداخلية ضدهم ،إضافة إلى تعرض الجزائر للحملات البحرية من قبل الدول الأوربية .

وعقب اغتيال الأغا الحاج علي (1665-1671)م تعرضت الإيالة لاضطرابات خطيرة جعلت الانكشارية يلجؤون من جديد لطائفة رياس البحر فوقع اختيارها على أحد الرياس يدعى تركي رايس ،ومنحته لقب الداي ،بمعنى الحامي .أو الخال وبذلك يبدأ عهد الدايات .

المحاضرة السابعة : التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية : ماهي أهم التطورات التي عرفتها الجزائر خلال هذه المرحلة ؟

د- عهد الدايات (1671-1830) :

تسلم الدايات السلطة في الجزائر منذ سنة 1671م ،وقد كان الدايات خلال الفترة (1671-1689)م ينتخبون من طائفة رياس البحر ،إلى غاية سنة 1689م صار الدايات يختارون من الانكشارية ،بينما يحتفظ السلطان العثماني بحق تأكيد الاختيار بتوجيه القفطان والسيف للداي الجديد ،رمزا لتزويده بالسلطة .وقد تعاقب على حكم الجزائر ثمانية وعشرون دايا ،كان أولهم الحاج محمد باشا (1671-1682)م ،وآخرهم الداي حسين باشا (1818-1830)م .

ومنذ بداية القرن الثامن عشر ضعف ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية ،ففي عهد الداي علي شاوش (1710م-1718م) رفض السماح للباشا الجديد القادم لولاية الجزائر بالنزول إلى البر ،وأجبره على أن يقفل راجعا ،وأرسل سفارة إلى السلطان العثماني محملة بالهدايا في سنة 1711م ،عرضت على الحكومة العثمانية المصاعب الناجمة عن تعدد السلطات ،ونجحت حجج السفارة في إقناع المسؤولين العثمانيين ،وتقرر جمع وظيفتي الباشا والداي لشخص واحد منذ ذلك الوقت .وقد حاولت الدولة العثمانية أن ترسل باشا من إسطنبول إلى إيالة الجزائر في عهد الداي عبدي باشا (1724م-1734م) ،ولكن تم رفضه ورد على نفس السفينة ،التي وصل عليها في سنة 1729م .

وقد انحصرت مظاهر التبعية في تقديم الهدايا ،وتبادل الرسائل بين الداي والسلطان العثماني في المناسبات دليلا على الولاء .فقد صارت تبعية الجزائر للدولة العثمانية عبارة تصديق السلطان لتولية الداي الجديد كل سنتين أو ثلاثة ،بالإضافة إلى تقديم المساعدة من طرف الأسطول البحري الجزائري إلى الأسطول العثماني في حروبه كلما تطلب ذلك ،وفي المقابل كان دايات الجزائر يجلبون الجنود الأتراك من جزر البحر المتوسط والأناضول .ووصل استقلال دايات الجزائر إلى الحرية في توقيع المعاهدات مع الدول الأجنبية مباشرة دون الرجوع للدولة العثمانية .

ولم يتنكر الدايات ا لسيادة السلطان مادامت السيادة اسمية ؛لا تقيد حريتهم في التصرف .فقد كان الأمر يقتصر على أن يرسل سفيرا يبلغ السلطان انتخابه لهذا المنصب ،ويتلقى منه قفطان الشرف وفرمان بتسميته باشا .كما كان الدايات يرسلون وفودا تهنئة لدى تولي سلطان جديد ،والسلاطين يقبلون بالأمر الواقع ما داموا لا يملكون القوة اللازمة لفرض كلمتهم .وقد كانت الجزائر تشترك في حروب الدولة العثمانية ،فترسل قوة بحرية إلى شرق المتوسط ؛مثل ما حدث في الحرب

الروسية العثمانية خلال (1768م-1774م) .وكانت الجزائر تتلقى جنودا إنكشاريين ،بالإضافة إلى المعونات المالية لتقوية البحرية الجزائرية .

وفي عهد الدايات أخذت تشكيلات إيالة الجزائر شكلها الأخير ،وصار يوجد إلى جانب الداي ديوان هو مجلس الشورى ،وهو مؤلف من موظفين منهم :المسؤول عن الخزينة والناظر لشؤون المالية ،والمكلف بالشؤون البحرية وهو وكيل الحرج ،أو وزير الحربية .إلى جانب خوجة الخيل والبيت مالجي ،إلى جانب ذلك الأغا وهو قائد الجيش ،وشيخ الإسلام والمفتيان الحنفي والمالكي .وكانت الجزائر مقسمة إلى أربع بايليكات ،على رأس كل واحدة باي يعينه الداي ،يساعده قواد ومشايخ في البايليك ،إلى جانب قوات من الجنود الانكشارية ،والقبائل الموالية المعروفة بقبائل المخزن ،التي كانت معفاة من الضرائب ،مقابل مهمة تأمين البايليك .

أما بالنسبة للقوة البحرية الجزائرية فإنها تراجعت مع بداية القرن الثامن عشر ،فقد بلغ عدد السفن الراسية في ميناء الجزائر 24 سفينة في سنة 1725م ؛تحتوي كل واحدة من 10 إلى 52 مدفعا ،وفي سنة 1749م انخفض عددهم إلى 17 سفينة تحتوي كل واحدة من 3 إلى 26 مدفعا .وهذه السفن تسع منها للحكومة وثمانية سفن ملك شخصي لبعض الأفراد ،وأصبح السوق المغطى مهجورا ،ولم يعد يسمع صوت الدلالين الذين كانوا يبيعون الغنائم والأسرى ،فكانت الجزائر مدينة عز وبهاء وحيوية ،وكان ذهب المسيحيين يتدفق عليها بكميات لا تحصى ،فأصبحت خزينتها كئيبة وفارغة .

منذ نهاية القرن 17م وبداية القرن 18م ،بدأ انحطاط البحرية الجزائرية .فقد تزايدت قوة البحرية الأوربية وصارت عمليات الانتقام أوسع وأكثر ،وحدت المعاهدات مع الدول من نشاط البحرية الجزائرية وقلت الغنائم ،وهبط مستوى البحارة الجزائريين ،وهبط عدد السفن الجزائرية هبوطا كبيرا .ولكنها انتعشت من جديد بفضل الرايس حميدو ؛وبسبب انشغال الدول الأوربية بحروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية .غير أن هذا الوضع الإيجابي لم يدم طويلا بعد قضاء الدول الأوربية على نابليون وعقد مؤتمر فيينا في سنة 1815م ،فقد طرحت قضية القرصنة الجزائرية وضرورة القضاء عليها ،فكلفت بريطانيا التي قادت حملة ضد الجزائر في سنة 1816م ،وهي حملة إكسماوث ،لتأتي بعدها الحملة الإنجليزية الهولندية في سنة 1824م ،التي أضعفت القوة البحرية الجزائرية ،ثم تحطمت معظم قطع الأسطول الجزائري في معركة نافرين باليونان في سنة 1827م ،لينتهي الأمر بالحصار الفرنسي في سنة 1827م ،وبعدها الاحتلال الفرنسي الذي أنهى الإيالة الجزائرية في عهد الداي حسين ،آخر دايات الجزائر في سنة 1830م .

المحاضرة الثامنة : العلاقات الدولية للجزائر في العصر الحديث:

الإشكالية : كيف كانت علاقات الجزائر مع الدولة العثمانية ؟وماهي اهم التطورات التي عرفتها ؟ وكيف كانت علاقاتها مع كل من تونس والمغرب ؟

1 – العلاقات مع الدولة العثمانية :

بدأت العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية ،منذ وصول العثمانيين إلى الحوض الغربي للمتوسط ،وتحديدا منذ وصول الإخوة بربروس إلى المدن الساحلية للمغرب الأوسط ،وبدأت العلاقات الرسمية في سنة 1519م بارتباط الجزائر بالدولة العثمانية .وبالرغم من أن الجزائر ظلت إيالة عثمانية طيلة الفترة (1519-1830)م .يمكن أن نميز مرحلتين من العلاقات كالتالي :

1.1– المرحلة الأولى (1519–1671)م :

لقد أدت الجزائر دورا بطوليا في الحوض الغربي للبحر المتوسط ،وذلك من خلال مواجهتها للهجمة الصليبية الإيبيرية ،منذ مطلع القرن السادس عشر ،كما استطاعت أن ترجح ميزان القوى لصالح الدولة العثمانية في صراعها مع القوى الأوربية المسيحية .فقد كانت الجزائر خلال هذه الفترة وإلى غاية انتهاء مرحلة الباشوات ،ولاية تعين الأستانة حاكمها ،وعلى الرغم من ذلك فإن العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية ؛ لم تكن علاقة مستعمر بمستعمر ،بل كان الرابط الوحيد بينهما ،هو الدين والمصالح المشتركة .

فمنذ أن ارتبطت الجزائر بالخلافة العثمانية في سنة 1519م ،وأصبحت إيالة عثمانية في شمال أفريقيا ،حكمها البيلربايات وهم من رياس البحر العثمانيين ،وتعاقب على حكمها بعد ذلك الباشوات وأغوات الانكشارية ،وقد كانت العلاقات العثمانية الجزائرية خلال هذه المراحل الثلاث مرتبطة فعلا بطبيعة نظام الحكم ،أو من يحكم في الجزائر باسم السلطان العثماني .ومدى قيام هؤلاء الحكام بتنفيذ أوامر السلطان داخل الإيالة الجزائرية .ولكن بعد فشل نظام الأغوات ،الذين يمثلون الانكشارية ،ظهر رياس البحر مجددا على ساحة الحكم في الجزائر ،الذين قاموا بتغيير نظام الحكم والذي عرف بنظام الدايات ،وبذلك تغيرت معه علاقة الجزائر بالدولة العثمانية .

2.1– المرحلة الثانية (1671–1830)م :

منذ سنة 1671م بوصول الدايات إلى الحكم في الجزائر تحولت علاقة الجزائر بالدولة العثمانية ،وأصبحت علاقة شكلية وتبعية الإيالة للخلافة العثمانية ،تحولت إلى تبعية اسمية وروحية فقط .فقد

كان دور الدولة العثمانية ؛هو إصدار الباب العالي لفرمانات تولية الداي الجديد ،والمصادقة على تنصيبه لا أكثر .

ففي عهد الداي علي شاوش (1710-1718) رفض السماح للباشا الجديد القادم لولاية الجزائر بالنزول للبر ،وأجبره أن يقفل راجعا ،وأرسل سفارة إلى السلطان العثماني محملة بالهدايا في سنة 1711م .وحاولت الدولة العثمانية أن ترسل باشا من إسطنبول إلى إيالة الجزائر في عهد الداي عبدي باشا (1724-1734) ،ولكن تم رفضه ورد على نفس السفينة ،التي وصل فيها في سنة 1729م .

وقد انحصرت مظاهر التبعية في تقديم الهدايا ،وتبادل الرسائل بين الداي والسلطان العثماني في المناسبات ؛دليلا على الولاء .فقد صارت تبعية الجزائر للدولة العثمانية ؛عبارة عن تصديق السلطان لتولية الداي الجديد ،كل سنتين أو ثلاثة ،بالإضافة إلى تقديم المساعدة من طرف الأسطول البحري الجزائري ،إلى الأسطول العثماني في حروبه كلما تطلب ذلك ،وفي المقابل كان دايات الجزائر يجلبون الجنود الأتراك من جرز البحر المتوسط والأناضول ،ووصل استقلال دايات الجزائر إلى الحرية في توقيع المعاهدات مع الدول الأجنبية مباشرة ،دون الرجوع للدولة العثمانية .

ولم يتنكر الدايات لسيادة السلطان العثماني ،مادامت السيادة اسمية لا تقيد حريتهم في التصرف .فقد كان الأمر يقتصر على أن يرسل الداي سفيرا يبلغ السلطان انتخابه لهذا المنصب ،ويتلقى منه قفطان الشرف ،وفرمانا بتسميته باشا .كما كان الدايات يرسلون وفودا للتهنئة لدى تولي سلطان جديد ،والسلاطين يقبلون بالأمر الواقع ،ما داموا لا يملكون القوة اللازمة لفرض كلمتهم .وقد كانت الجزائر تشترك في حروب الدولة العثمانية .مثل ما حد ث في الحرب العثمانية الروسية خلال (1768-1774) عندما أرسلت الجزائر قوة بحرية ،وفي مقابل ذلك كانت الجزائر تتلقى جنودا انكشاريين ،ومعونات مالية من الدولة العثمانية ؛لتقوية البحرية الجزائرية .وقد ظلت الروابط الروحية الإسلامية بين الجزائر والدولة العثمانية مستمرة إلى غاية سقوطها على يد الاستعمار الفرنسي في سنة 1830م.

2- العلاقات مع تونس :

تعود العلاقات بين تونس والجزائر إلى فترات تاريخية متقدمة ،لا يمك ن فصلها عن بعضها ،بسبب التجاور بين الطرفين .أما خلال العصر الحديث فيمكن بدؤها من القرن 16م ،أي منذ ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية ،وتحولها إلى إيالة عثمانية .فقد قامت الجزائر بعدة محاولات للقضاء على الدولة الحفصية المتواجدة في تونس خلال القرن 16م ،خلال سنة 1534م في عهد خير الدين بربروس ،وفي سنة 1569م في عهد علج علي ،وفي سنة 1574م نجحت الجزائر بمساعدة قوات

عثمانية في إخضاع تونس للدولة العثمانية ،وظلت إيالة تونس تابعة لإيالة الجزائر خلال الفترة (1574-1587) ،حيث استقلت تونس وأصبحت باشوية تابعة مباشرة للسلطان العثماني .ولكن حكام الجزائر لم يكفوا عن محاولة التدخل في شؤون تونس ،كلما سنحت لهم الفرصة طيلة القرنين 16م و17م .وكانت مشكلة الحدود دائما السبب الرئيسي في الصراع بين الطرفين .

ومع مطلع القرن الثامن عشر زحف الداي مصطفى باتجاه تونس في سنة 1705م ،فاستولى على مدينة الكاف ونهبها ،ثم توجه إلى تونس العاصمة فحاصرها ،خاف التونسيون على بلادهم فعرضوا الصلح على الداي مصطفى مقابل مبلغ من المال ،لكنه رفض لذلك قرر التونسيون الدفاع عن بلادهم ،وفي هذه الأثناء هاجم الفرنسيون الجزائر فاضطر الداي مصطفى للتفاوض ،لكن التونسيين رفضوا دفع الأموال ،فاستمر الجزائريون في فرض الحصار على تونس ،لكنهم اضطروا للانسحاب وفي طريق العودة بدأ التونسيون في مهاجمة الجيش الجزائري ،الذي تعرض لخسائر كبيرة .

وفي سنة 1735م تدخل داي الجزائر مرة أخرى في شؤون تونس ،بعد أن فر علي باشا إلى الجزائر واستعان بداييها ضد عمه حسين بن علي ،الذي قتل سنة 1740م ،ونصب علي باشا الذي تنكر لداي الجزائر ،وامتنع عن دفع الضريبة له ،مما أدى إلى قطع العلاقات بينهما .وفي سنة 1746م تحركت حملة من الجزائر باتجاه تونس من أجل إعادة أبناء حسين بن علي للحكم ،بعد أن استنجدوا بداي الجزائر ،لكن الحملة فشلت أمام أسوار مدينة الكاف .وفي سنة 1756م جاءت الحملة الثانية على تونس ،فتم إبعاد علي باشا عن الحكم وأعاد الجزائريون أبناء حسين بن علي للسلطة ،ونهبت مدينتي الكاف وتونس ،واعترف علي باي بالتبعية للجزائر ،ودفع الضريبة السنوية .

استمرت تبعية تونس للجزائر ففي سنة 1781م فرض داي الجزائر على باي التونسي دفع مبلغ 750000 ريال ،ولكنه دفع منها 200000 ريال فقط ،ووجب عليه إرسال كميات من الزيت للجزائر ؛قدرت بحمولتين بحريتين .وقد استمر حمودة باشا الحسيني في مهادنة داي الجزائر ،لكن العلاقات تأزمت بين الجزائر وتونس مع بداية القرن التاسع عشر ،فقد قاد الجزائريون حملة ضد تونس في سنة 1800م هزم فيها الجيش التونسي ،ثم حملة أخرى في سنة 1807م عندما امتنع حمودة باشا عن دفع الضريبة السنوية ،وكانت خسائر التونسيين كبيرة ،ولم تتمكن تونس من التحرر من سيطرة دايات الجزائر ،إلا بعد الحملة الثانية في سنة 1807م .

3- العلاقات مع المغرب :

أما بالنسبة لعلاقات الجزائر مع المغرب ،فهي بدورها قديمة ،ولكن خلال العصر الحديث ،يمكن إرجاعها إلى القرن السادس عشر الميلادي ،أي منذ أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية ،وحدوث مختلف التطورات في الحوض الغربي من المتوسط ،وتأثيرها على بلدان المغرب الإسلامي .

بقي المغرب خارج نفوذ العثمانيين ،الذين سعوا إلى مد نفوذهم إليه والحاقه عن طريق أتراك الجزائر ،لكن الرفض المستميت والتعامل الحذر لحكام المغرب السعديين حال دون ذلك .وقد اصطدم السعديون مع الحكام الجزائريين في عدة مرات ،بسبب رفضهم لضم الجزائر لمدينة تلمسان ، فكانت لهم تدخلات عسكرية في تلمسان خلال سنوات : 1550م ، 1551م ، 1557م ، 1560م ،لكنهم فشلوا أمام قوة الجزائريين ،وظلت علاقات الطرفين تتأرجح بين السلم القلق والتوتر حتى سنة 1578م ،وهي السنة التي تحرر فيها المغرب من نفوذ العثمانيين ،بسبب ظهوره كدولة قوية في حوض المتوسط ،بعد انتصاره على البرتغال في وادي المخازن ،وسعي الدول الأوربية إلى التقرب من المنصور السعدي وعقد الاتفاقيات معه ،وبذلك اعترف العثمانيون باستقلال المغرب ،وتوقفوا عن محاولات ضمه ،بالرغم من المشاريع التي كانت مسطرة عن طريق حكام الجزائر كحملة سنة 1581م في عهد علج علي ،ورغم اتفاق السلام بين الدولة العثمانية والمنصور السعدي في سنة 1582م بين الطرفين ،إلا أن مشاريع غزو المغرب ظلت موجودة في عهد حسن فنزيانو حاكم الجزائر للمرة الثانية في سنة 1583م ، الذي كان ميالا للتدخل في المغرب ،ولم يتحقق السلام الراسخ بين الطرفين إلا بعد رحيل حسن فنزيانو عن حكم الجزائر في سنة 1587م ،وتم توقيع السلام بين الطرفين في سنة 1588م ،وبذلك اعترفت الدولة العثمانية ومن ورائها حكام الجزائر باستقلال المغرب الأقصى عن نفوذهم .

ومع بداية القرن الثامن عشر توترت العلاقات بين الجزائر والمغرب في عهد المولى إسماعيل ،فقد تحالف مع باي تونس مراد بك ،والذين اشتركوا في حملة ضد الجزائر وهزموا باي قسنطينة في عهد مصطفى داي في سنة 1700م .فقد كان مولاي إسماعيل يميل إلى التحالف مع التونسيين ضد الجزائر بهدف ضم تلمسان إلى ملكه .في حين تحسنت العلاقات بين الطرفين في عهد مولاي سليمان (1792-1822)م ،واستمرت العلاقات حسنة بين الجزائر والمغرب في عهد مولاي عبد الرحمان الذي احتلت الجزائر في عهده .وبذلك انتهت في سنة 1830م مرحلة من العلاقات بين الجزائر والمغرب ،والتي غلب عليها التوتر في معظمها .

المحاضرة التاسعة : العلاقات الدولية للجزائر في العصر الحديث:

الإشكالية :كيف كانت علاقات الجزائر مع إسبانيا ؟وما هو الطابع الذي غلب عليها ؟ وماهي العوامل التي تحكمت فيها ؟

1- العلاقات الجزائرية الأوربية خلال العهد العثماني:

تنوعت علاقات الجزائر الخارجية ،وخاصة مع الدول الأوربية خلال العهد العثماني ،وقد ظهر هذا التنوع جليا خلال عهد الدايات ،أي منذ استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية ،ويمكن أن نميز من بين العلاقات المتميزة للجزائر مع بعض الدول الأوربية على سبيل المثال ،لا الحصر ،العلاقات مع إسبانيا وفرنسا والبرتغال ،وإنجلترا ،وبعض الدويلات الإيطالية .ونظرا لتشابك تلك العلاقات ،فإننا سنركز على أهم الدول الأوربية ،التي تميزت في علاقاتها مع الجزائر ؛وهي كل من إسبانيا ،وفرنسا اهم الدول الأوربية و أقواها خلال العصر الحديث .

لم يكن للجزائر سياسة خارجية واضحة ،فلقد تأثرت علاقاتها الخارجية بصورة عامة بالتقلبات الداخلية ،وتقلبات السياسة الأوربية ،وبنشاط القرصنة .ولم تكن الجزائر تتقيد في علاقاتها الخارجية باتجاهات السياسة الخارجية العثمانية .ومن أهم الدول التي ربطتها علاقات بالجزائر ،بغض النظر عن طبيعة تلك العلاقات ،نجد إسبانيا وفرنسا .

1.1- العلاقات الجزائرية الإسبانية :

تميزت العلاقات بين إيالة الجزائر وإسبانيا خلال العصر الحديث بالعداء المتواصل ،وهي تعود إلى بداية القرن السادس عشر ،عندما قامت إسبانيا باحتلال الموانئ الجزائرية :المرسى الكبير في سنة 1504م ،ووهران في سنة 1509م ؛بسبب غياب سلطة جزائرية قوية قادرة على حماية حدودها ؛نظرا لضعف الدولة الزيانية ،لذلك سارعت بعض الزعامات والقبائل المحلية إلى التعاون مع الإسبان المحتلين .ومن جهة أخرى سارعت زعامات جزائرية أخرى إلى الاستنجاد بالدولة العثمانية ،بعد ظهور الأخوة بربروس في سواحل المغرب الإسلامي .وهو ما كا ن سببا في ظهور الإيالة الجزائرية على مسرح الأحداث في الحوض الغربي للمتوسط ،وبذلك أخذت العلاقات الجزائرية الإسبانية منحى آخر .

وأهم ما يميز علاقات الجزائر مع إسبانيا خلال القرن الثامن عشر هو استرجاع الجزائر لوهران من الاحتلال الإسباني في سنة 1708م ،وكان ذلك في عهد الداي محمد بكداش ،فبعد عام من الحصار تم فتح المدينة ،وألحق الجزائريون بالإسبان خسائر كبيرة وأسروا منهم عدد كبير . ولكن

الإسبان ظلوا يحاولون استرجاع وهران حتى نجحوا في استعادتها في سنة 1732م ،وقد ترك ذلك أثرا عميقا في نفوس الجزائريين ،وأدى إلى وفاة الداي عبدي حزنا على تلك الكارثة .

وقد تكررت محاولات الجزائريين لاستعادة المدينة خلال الفترة (1732-1735) ،لكنها كلها باءت بالفشل .ولكن العلاقات بين الطرفين ظلت في حالة حرب ،فقد وجهت إسبانيا عدة حملات إلى مدينة الجزائر خلال سنوات 1775م ،و1783م ،و1784م لكنها كلها فشلت ،لذلك توجهت إسبانيا إلى التفاوض من أجل عقد معاهدة سلام مع الجزائر ،بدأت المفاوضات في سنة 1785م واستمرت إلى غاية سنة 1791م ،حيث تم إبرام معاهدة سلم بين الطرفين ،وانتهت بانسحاب الإسبان نهائيا من وهران في سنة 1792م ،مقابل حصولهم على امتيازات في مجال حرية التجارة ،وممارسة صيد المرجان .وبذلك انتهت مرحلة من العلاقات الجزائرية الإسبانية ؛تميزت بالصراع المتواصل دامت قرابة ثلاثة قرون ،وانتقلت علاقات الطرفين إلى مرحلة جديدة من السلم ،والتبادل التجاري بينهما.

المحاضرة العاشرة : العلاقات الدولية للجزائر في العصر الحديث:

الإشكالية: بماذا تميزت علاقات الجزائر مع فرنسا ؟وما هو الطابع الذي غلب عليها؟

1.2- العلاقات الجزائرية الفرنسية :

تعتبر العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال العصر الحديث ،أي منذ العهد العثماني في الجزائر من أقدم واوثق العلاقات ،مقارنة بعلاقات الجزائر من دول أوربية أخرى ،فهي تعود إلى سنة 1535م عندما تحصلت فرنسا على امتيازات اقتصادية تتعلق بصيد المرجان في الشرق الجزائري ،بموجب معاهدة الامتيازات بين السلطان العثماني سليمان القانوني ،وملك فرنسا فرنسوا الأول ،ومن بين الشركات التي تحصلت على امتيازات شركة لنش ،التي قامت ببناء ما يعر ف بالمؤسسات الفرنسية ،والتي أصبحت من أغنى الشركات التجارية .كما استطاعت فرنسا بعدة محاولات عديدة فرض قنصل لها في الجزائر في سنة 1564م ،والذي بدا في ممارسة مهامه في سنة 1580م.

توترت العلاقات بين الجزائر وفرنسا خلال النصف الأول من القرن السابع عشر ،بسبب عدم التزام الشركة الفرنسية بالشروط مع الجزائر ،وكذا بسبب قضية صانصون دونسا (سرقة المدفعين) منذ سنة 1604م ،ورغم محاولة الطرفين عقد معاهدات سلام خلال سنوات 1619م ،و 1628م ،واستمرت العلاقات متوترة إلى غاية عقد اتفاق في سنة 1661م.

وخلال النصف الثاني من القرن السابع عشر حاولت فرنسا فرض السلم عن طريق القوة العسكرية ،فقامت بعدة حملات عسكرية في سنوات : 1664م على جيجل ،و1682م ،1663م على الجزائر ،ورغم عقد معاهدة 1684م إلا أن السلم لم يتحقق ،وقامت فرنسا بحملة أخرى سنة 1688م ،والتي انتهت بمعاهدة السلم المئوي في سنة 1689م .والتي ستكون قاعدة للسلم بين الطرفين طيلة القرن الثامن عشر ،كلما توترت العلاقات بين الطرفين .

أما عن علاقات الجزائر مع فرنسا خلال القرن الثامن عشر ،فقد تميزت بالهدوء النسبي ،واللجوء إلى التفاهم حرصا على التجارة الفرنسية ،وخوفا من نشاط القرصنة الجزائرية .ولكن الخلافات بين الطرفين لم تتوقف ،بسبب مشاكل الأسرى ،واشتراك جنود فرنسيين إلى جانب الإسبان في حروبهم على وهران .لكن هذه الخلافا ت لم تتطور إلى الصدام المسلح ،بسبب حنكة القناصل الفرنسيين ،والسياسة الفرنسية الحكيمة ؛من أجل حماية التجارة الفرنسية ،وقد ظلت الشركة الفرنسية تشرف على الامتيازات في الشرق الجزائري خلال الفترة (1740-1793) .

وعند قيام الثورة الفرنسية في سنة 1789م وجدت فرنسا نفسها محاصرة من طرف الدول الأوربية ،ولم تجد عونا إلا من الجزائر ،من أجل تزويدها بما تحتاج هـ من الحبوب لتموين الجيوش الفرنسية ؛بسبب الحصار المفروض عليها من التحالف الأوربي المعادي للثورة الفرنسية .فقد سارعت فرنسا إلى تثبيت السلم مع الجزائر من خلال معاهدة سنة 1793م ،لقد اعترف الداي بابا حسن بالجمهورية الفرنسية وعلمها ،كما قدم لها حمولات من القمح قدرت ب 250000 فرنك فرنسي .لقد تميزت الفترة (1790-1798) بوقوف الجزائر إلى جانب فرنسا ،حتى وصف الداي حسن بصديق فرنسا ،وذلك بسبب مساعي القنصل فالبير.

وخلال الفترة (1798-1801) توترت العلاقات بين الجزائر وفرنسا ووصلت إلى إعلان الجزائر الحرب على فرنسا ؛بعد احتلالها لمصر تحت ضغط الباب العالي ،وبعد حل القضية المصرية ،عادت العلاقات بين الطرفين وعقدت معاهدة في سنة 1801م ،وأعيدت لفرنسا امتيازاتها التجارية في الشرق الجزائري ،لكن العلاقات بين الطرفين بدأت تتعكر ،وبدأت المشاريع الفرنسية التوسعية في الجزائر تظهر ،بعد توقيع نابليون لصلح أميان مع إنجلترا في سنة 1802م ،لتستمر العلاقات المتوترة بين الطرفين إلى غاية القضاء على نابليون في سنة 1815م ،وبعد هذه السنة تبدأ فرنسا في الإعداد لاحتلال الجزائر إلى أن تفرض الحصار على الجزائر في سنة 1827م ،والذي انتهى بالاحتلال في سنة 1830م ،وتم القضاء على الإيالة بعد ثلاثة قرون من تأسيسها .وبذلك انتهت مرحلة من العلاقات المتميزة بالمقارنة مع علائق أخرى نهاية مأساوية بالنسبة للإيالة .